

واقع العمال السوريين عام ٢٠١٢ : خطف وضرب وسلب والجناة «مجهولون»



المرصد اللبناني لحقوق العمال والموظفين

تواصلت خلال عام ٢٠١٢ حالات الاعتداء على العمال السوريين في أنحاء مختلفة من لبنان، من البقاع إلى الجبل ومن الشمال إلى الجنوب مروراً بالعاصمة وضواحيها، حيث أفادت المعلومات الواردة من مصادر حقوقية وأمنية وإعلامية مختلفة عن خطف عشرات العمال وتعرض آخرين للضرب وإطلاق النار والتهديد والسرقة.

فالمعلوم انه مع بداية الثورة السورية التي انطلقت شرارتها في ١٥ آذار عام ٢٠١١، سجل عدد من حالات الخطف لعمال سوريين في لبنان يعتقد أنهم من المعارضين للنظام السوري، وتواصلت الاعتداءات مع ازدياد أعداد النازحين من سوريا إلى لبنان، إلا أنها سرعان ما اتخذت منحاً عنصرياً تصاعدياً منذ الإعلان عن خطف ١١ لبنانياً في سوريا في أيار عام ٢٠١٢. وفي هذا الإطار، أشارت تقارير إعلامية إلى أنه نتيجة لموجة العنف والتفكيك التي طاولت عدداً كبيراً من العمال السوريين، فرآف منهم من لبنان، وقسم لا بأس به منهم لم يستوفوا كامل أجورهم.

ويفيد في هذا المجال، لفت نظر السلطات اللبنانية أولاً، والمنظمات الحقوقية ثانياً، إلى أن حالات الاعتداء على العمال الأجانب بشكل عام في لبنان والسوريين بشكل خاص، ليست حالات فردية ومعزولة بل تأتي ضمن سياق عام من التحريض العنصري ضد هذه الفئة بالتحديد. وقد رصد «المرصد اللبناني لحقوق العمال والموظفين» ٢٩ حالة عنف موثقة ضد عمال سوريين، في موجة تذكّر بما حصل في الفترة التي أعقبت اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري عام ٢٠٠٥، التي شهدت حالات اعتداء مشابهة ضد هذه الفئة، وكان تقرير لمنظمة العفو الدولية صدر في العام نفسه، أشار إلى مقتل ما يقارب ٢٠ عاملاً بإطلاق الرصاص عليهم أو ضربهم أو طعنهم. كما رصد التقرير آنذاك نحو ٣١ عملية إضرار نيران بشكل متعمد وإتلاف ممتلكات ومسكنات العمال المؤقتة. هذا، وبحسب جريدة الأخبار فإنه خلال الفترة الممتدة بين ٢٠٠٥ و٢٠١٠ أٌحصي نحو ٧٠٠ مفقود سوري في لبنان. أما القاسم المشترك بين الأعوام ٢٠٠٥ و٢٠١٢، هو بقاء المعتدين في معظم الحالات مجهولي الهوية، مما حال دون سوقهم من قبل السلطات اللبنانية إلى العدالة فضلاً عن تقصير الحكومة في اتخاذ التدابير التي من شأنها حماية هذه العمالة.

ويمكن تصنيف العنف الممارس ضد العمال السوريين إلى ٣ أنواع: خطف، عنف جسدي، وسلب. وسجل في هذا الإطار ١٤ حالة ضرب وتعذيب، و١١ حالة سلب، و٤ حالات خطف. وفي التفاصيل:

- في كانون الثاني ٢٠١٢ تعرض ٤ عمال بناء في منطقة الزرارية في جنوب لبنان للخطف على أيدي عناصر يستقلون سيارات جيب ذات زجاج عازل. ورجحت مصادر صحافية أن تكون السيارات تابعة للسفارة السورية في لبنان إلا أنه لم تصدر تقارير أمنية تؤكد أو تنفي هذا الموضوع. والى اليوم لم يعد العمال الدء إلى موقع عملهم.
- وفي شباط عام ٢٠١٢، تعرض ٣ عمال سوريين في منطقة الشويفات إلى السلب وإطلاق النار ولجأ المسلحون إلى تقييد العمال لشل حركتهم وإطلاق النار في اتجاههم ما أدى إلى إصابة أحدهم برصاصة في رجليه.
- وفي حادثة مماثلة في شهر آذار من العام نفسه، تعرض عمال سوريون يعملون في ورشة بناء للسلب والاعتداء بالضرب في عاليه ما أدى إلى إصابة أحدهم بجروح بليغة.
- وفي شهر نيسان ٢٠١٢، تعرض ٥ عمال سوريين في منطقة كفر ملكي في إقليم التفاح إلى اعتداء بالعصي

والآلات الحادة من قبل ١٢ شاباً ما أدى إلى إصابتهم بجروح خطيرة. وكان تقرير إعلامي تحدث عن أن العمال في البلدة تعرضوا إلى مضايقات واستفزازات واعتداءات متكررة.

• وفي شهر أيار من العام نفسه، وعلى أثر اختطاف ١١ لبنانياً كانوا في رحلة بحافلة لمزارات دينية في سوريا، تم الاعتداء على عدد من العمال السوريين في لبنان، حيث عثر على العامل السوري ضرار المحمد (مواليد ١٩٨٤) مصاباً بطلق ناري برقبته قرب مطار بيروت. وقد انتشر في وقت لاحق مقطع فيديو على موقع «يوتيوب» يظهر أحد العمال السوريين مكبلاً على كرسي حيث كان يقوم أحد الأشخاص بتعذيبه وإهانته. أما في إقليم الخروب، فسُجّل إقدام مسلحين على الاعتداء على عدد غير محدد من العمال السوريين في أماكن سكنهم.

• وفي شهر حزيران ٢٠١٢، أفادت «هيومان رايتس ووتش» أنها قابلت مواطنين سوريين تعرضوا للضرب على أيدي مجهولين في بيروت، وأوضحا أنهما لم يتقدما للشرطة بشكاوى لأنهما «لا يتشان بالشرطة اللبنانية».

• أما في شهر آب، وبعد أن بُثت تقارير إعلامية تفيد بمقتل بعض اللبنانيين المخطوفين في سوريا في قصف جوي، بدأت موجة جديدة من الاعتداءات على العمال السوريين، وعلى ممتلكات العديد منهم في مناطق مختلفة من بيروت ومحيطها، وتم اختطاف ٣٣ عاملاً سورياً ورجل تركي على أيدي مجموعة من آل المقداد في ١٥ آب على أثر فقد أحد أبنائهم المدعو حسن المقداد في سوريا. وفي برج البراجنة، اعتدت مجموعة من آل زعيتر على عمال سوريين، كما اعتدى مجهولون على عامل سوري ووالدته بالضرب والسلب على اوتوستراد هادي نصر الله في الضاحية الجنوبية. وفي الرويسات تم الاعتداء بالضرب وسلب عامل آخر. وفي حي السلم اعتدى شبان على ٥ عمال وهددوهم إذا ما عادوا إلى المنطقة. وفي حولا الجنوبية، اعتدى عدد من المسلحين على عدد غير محدد من العمال سوريين، ما أسفر عن وقوع جرحى. أما في منطقة النبعة فقد تعرض عدد من العمال السوريين للضرب والاعتداء. وسجل تشكيل جمعيات شبابية في بعض الأحياء ل«اصطياد» الشبان السوريين والتعرض لهم بالضرب. كما تعرض عدد من المحال التي تعود لسوريين لتحطيم الزجاج في المنطقة نفسها.

• في تشرين الأول ٢٠١٢، وتحديداً في السابع منه، قام عناصر من الجيش اللبناني ومخابراته باعتداء على ما يقل عن ٧٢ عاملاً وافداً سورياً ومصرياً وسودانياً في منطقة الأشرفية. عندما قاموا، بناء على شكوى تقدم بها بعض السكان بتهمة «التحرش بالفتيات ومضايقة السكان»، بمداهمة منازلهم ليلة ٧ تشرين الأول أكتوبر. ويورد تقرير لمنظمة «هيومان رايتس ووتش» تفاصيل الاعتداء على العمال، وضربهم وتعذيبهم وإهانته لساعات متواصلة وبدون تقديم أي تفسير للمداهمة أو حتى طلب أوراق العمال الثبوتية. ويورد التقرير أن ٢٥ عاملاً ممن التقتهم المنظمة قالوا أنهم تعرضوا جميعاً للضرب المبرح وبدت على أجسادهم جميعاً كدمات واضحة تتفق مع أقوالهم. وقال نديم حوري من المنظمة ان «الاعتداء على هؤلاء العمال الأجانب بهذه الطريقة العنيفة، فإن عناصر الجيش تصرفوا أقرب لعصابة منه لمؤسسة وطنية». ولم يكن هذا أول اعتداء من قبل عناصر الجيش على العمال بحسب ما يورد التقرير. ففي مطلع تشرين الأول قام بعض الجنود بمداهمة موقع بناء يعمل وينام فيه عمال مهاجرون، وسمع السكان المحيطين بالمبنى صرخات صادرة منه. ولم تمر هذه الأحداث دون رد فعل من بعض الجمعيات الحقوقية ومن بينها «المرصد اللبناني لحقوق العمال والموظفين»، الذين أصدروا بياناً مشتركاً نددوا فيه بهذا الاعتداء الذي اتخذ شكل المعاقبة الجماعية لكل عامل أجنبي في المنطقة وهو ما وصفه الموقعون بال«عنصرية الموصوفة وكره الأجانب». كما طالبوا السلطة

التفيزية التي تشرف على الأجهزة والقوى الأمنية والجيش اللبناني القيام بدورها وتحمل مسؤولياتها في حماية المواطنين والمقيمين على حد سواء من أي اعتداء، فضلاً عن مطالبتهم السلطة القضائية بالتدخل لوضع حد لهذه الممارسات، وفتح تحقيق وإنزال العقوبات الجزائية بحق المعتدين من القوى العسكرية.

وبعد أسبوع من هذا الحادث، وتحديدًا في ١٨ تشرين الأول، اعتدى أكثر من عشرين «مجهولاً» يحملون السكاكين والسواطير والعصي، على عمال سوريين في محلة الرملة البيضاء حيث يعملون في ورشة لبناء. ما أدى إلى إصابة ٦ عمال إصابات بليغة. ولاحقاً أوقفت مفرزة استقصاء بيروت ٦ لبنانيين وفلسطينيين للاشتباه بتورطهم بالاعتداء واقتيدوا للتحقيق معهم. وربما كانت هذه الحالة الوحيدة التي حصلت فيها ملاحقة المعتدين.

وشهد شهر كانون الأول الماضي، سلسلة اعتداءات استهدفت عمالاً سوريين في لبنان تفاوتت بين إطلاق النار عليهم وبين سرقتهم. ففي البقاع، نقل السوري محمد زكريا أحمد (مواليد ١٩٨٦) إلى مستشفى رياق مصاباً بطلق ناري في وجهه من بندقية صيد. وفي عكار وجد العامل السوري ماجد محسن العلي الذي يعمل في أحد معامل صب حجارة الباطون وهو مصاب بطلقين ناريتين من سلاح صيد ونقل إلى المستشفى في حال حرجة. وفي زحلة، أقدم ثلاثة أشخاص مجهولين على خطف عامل سوري واعتدوا عليه بالضرب وسلبوه مبلغ مليون ليرة وهاتفه الخليوي، ورموه في سهل مجدلون. كما تعرض عاملان سوريان إلى السرقة في زحلة. واعتدى مجهولون بالضرب على السوري عثمان المحمد على طريق فرعية تصل بين الكرك وتربل وسلبوا منه مبلغاً من المال. وفي القبيع قام مسلحون بسلب عمال سوريين يعملون في معمل لأحجار الباطون. وفي المعاملتين، اقتحم «مجهولون» ورشة «مظلوم اخوان» وسلبوا عاملين سوريين بقوة السلاح. وفي الشفروليه، أقدم «مجهولون» على سلب ٥ عمال سوريين. كذلك في الشويفات حيث سلب مجهولون، وبالطريقة نفسها، ٤ عمال سوريين. وفي آخر حادثة جرى توثيقها عام ٢٠١٢، أقدم «مجهولون» على سلب ٥ عمال سوريين في منطقة نهر إبراهيم.

يبقى أن نشير في النهاية، إلى أن ما أوردناه آنفاً لا يمكن اعتباره إحصاءً دقيقاً نظراً إلى صعوبة توثيق كل حالات العنف التي مورست ضد هؤلاء العمال، لأسباب عدة منها خوف الضحايا أو ذوبهم من أعمال انتقامية في حال إبلاغهم السلطات اللبنانية، فضلاً عن تقاعس القوى الأمنية في حمايتهم. لذا، فإن المرصد اللبناني لحقوق العمال والموظفين يستنكر الممارسات العنصرية ضد العمال السوريين، ويطالب الحكومة اللبنانية بتحمل مسؤولياتها لحماية هذه الفئة من العمالة والقيام بتحقيق جدي لكشف مرتكبي هذه الاعتداءات واتخاذ إجراءات جدية تنهي حالة العنصرية السائدة تجاه العمال الأجانب بشكل عام.

المرصد اللبناني لحقوق العمال والموظفين

المراجع:

١. «الاعتداء على عمال سوريين بـ«السكاكين والسواطير والعصي» في الرملة البيضاء»، ١٨ تشرين الأول - موقع نهار نات
٢. «اعتداء على عمال سوريين في منطقة حولا»، ١٤ آب ٢٠١٢ - موقع مختار
٣. «الاعتداء على عمال سوريين في عاليه وجرح اثنين منهم» ٦ آذار ٢٠١٢ - الوكالة الوطنية للإعلام
٤. «إشكال في برج البراجنة على خلفية محاولة الاعتداء على عمال سوريين»، ٢٢ آب ٢٠١٢ - موقع Lebanon File
٥. الاعتداء على عمال سوريين في منطقة النبعة، ١٥ آب ٢٠١٢ - موقع لبيانون ديبايت
٦. «الحجار يستنكر الاعتداء على عمال سوريين» ٥ أيار ٢٠١٢ - المستقبل
٧. «اعتداءات على عمال سوريين بقاعاً وشمالاً»، ٢٨ كانون الأول ٢٠١٢ - الحياة
٨. «عمال سوريون يتعرضون للضرب والسلب في عاليه بجبل لبنان»، ٣ آذار ٢٠١٢ - الوكالة الوطنية للإعلام
٩. «٣ عمال سوريون يتعرضون للسلب والاعتداء في منطقة الشوفيات بجبل لبنان»، ٢٨ شباط ٢٠١٢ - الوكالة الوطنية للإعلام
١٠. «اختطاف عشرات السوريين في لبنان على أيدي عائلات مخطوفين لبنانيين في سوريا»، ١٥ آب ٢٠١٢ - (١ ف ب)
١١. «مسلحون سلبوا عمالاً سوريين في قبيع»، ٢٢ كانون الأول ٢٠١٢ - الوكالة الوطنية للإعلام
١٢. «اعتداءات انتقامية ضد السوريين في لبنان وعامل يصاب برصاصة في عنقه قرب مطار بيروت»، ٣٠ أيار ٢٠١٢ - الشرق
١٣. «الإعتداء على مواطن سوري وسلبه في تلعبايا»، ٢٧ كانون الأول ٢٠١٢ - الوكالة الوطنية للإعلام
١٤. «سلب عمال سوريين»، ١٩ كانون الأول ٢٠١٢ - موقع العهد
١٥. «نقل خمسة عمال سوريين إلى المستشفى إثر الاعتداء عليهم في كفرملكي»، ٧ نيسان ٢٠١٢، موقع Now Lebanon
١٦. «الاعتداء على سوريين على اوتوستراد هادي نصرالله وفي الرويسات»، ١٨ آب ٢٠١٢ - موقع النشرة